التمثلات الاجتماعية من الأبعاد النظرية الى نظرية النواة المركزية

شهيناز بن ملوكة[1]

إن مجال التمثلات الاجتماعية واسع تمتد جذوره من الفلسفة وصولا إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ولقد كان هذا المجال ولازال يشد اهتمام الكثير من الباحثين الذين انقسموا في دراسته الى مجموعة من المقاربات والنظريات تظهر في مجملها أهمية التاريخ الشخصي للفرد والجماعات، وتأثير كل من المحيط الأسرة والمجتمع، وسائل الإعلام... في تشكيل التمثلات الاجتماعية وأثرها على صياغة وتوجيه سلوكيات وممارسات الافراد والجماعات.

ما هي التمثلات الاجتماعية:

يعتبر **اميل دوركايم E Durkheim** أول من استخدم مفهوم «التمثل الاجتماعي" سنة 1898 في كتابه "التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية" "محددا خصائص التمثلات الجماعية والتمثلات الفردية [2]

إلا أن الفضل يرجع إلي **سرج موسكوفسي S.Moscovoci** في تحرير هذا المصطلح من مفهوم حبيس علم الاجتماع الى مجال تطبيقي قائم بحد ذاته في علم النفس الاجتماعي في كتابه "التحليل النفسي صورته وجمهوره" 1976 في المجتمع الفرنسي معرفا التمثلات على انها "اعادة اظهار الشئ للوعي مرة ثانية رغم غيابه في المجال المادي "[3]

وان التمثل الاجتماعي هو تمثل لموضوع معين Objet مثل تمثلاتنا حول موضوع التحليل النفسي المرض العقلي، الذكاء، الطفولة، العمل، المدرسة، الهاتف النقال، الصداقة...إلخ.

هذه المواضيع يتفاعل معها الأفراد والجماعات بشكل مستمر بمعنى آخر أنه لا يوجد تمثل بدون موضوع.

كما أن التمثلات هي مجموعة من المعلومات، المعتقدات الآراء نحو موضوع معين" في شكل بنية معرفية ذهنية تشمل مجموعة من المعلومات المخزنة والمرتبطة بخصائص موضوع التمثل"[4].

مثال: تمثل موضوع التحليل النفسي في دراسة **س–موسكوفسي** لاحظ وجود أثر ذكروي لمجموعة من المعارف مثل (عيادة طبية، صورة معالج، اسم فرويد أو فكرة حول اللاشعور– القلق، العقد، الصراع).

هذا ما جعل **دنيس جودلي D. Jodelet** تعتبر أن التمثلات عبارة عن شكل من المعرفة المتطورة اجتماعيا و المشتركة بين أفراد الجماعة لها غاية عملية في تنسيق واقعا مشتركا، لذا غالبا ما نجد جماعة من الأفراد لهم نفس التمثلات الاجتماعية حول موضوع معين وهذا ما يجعل لها بعدا رمزيا في تفسير أحداث العالم الخارجي.

مثال عن ذلك دراسة **دنيس جودلي** عن تمثل المرض العقلي وملاحظاتها حول مجمل الأفكار واراء الأفراد عينة خلال المناقشات أن لهم تمثلات اجتماعية مشتركة اتجاه المرض. وان مجمل هده التمثلات لها بعد إجرائي في تشكيل السلوكيات معينة في التعامل مع المرضى العقليين، مما يجعل من التمثلات الاجتماعية ***نماذج للتفكير الاجتماعي تتعارض مع التفكير المنطقي العلمي (الفرضي).***[5]

لهذا نجد في الدراسة هده الباحثة ان تمثلات افراد العينة المرض العقلي تساهم في تشكيل سلوكيات تجنبيه واعتباره مرض معدي (غسل ملابس المريض العقلي في الأسرة منفصلا عن ملابس أفراد الأسرة)

كأن التمثلات المرض العقلي في هده الدراسة طرق مختصرة يشكلها التفكير حول موضوع معين بهدف تحديد أبعاد الموضوع واختيار السلوك الأكثر توافقا بهدف التحكم والسيطرة على معطيات المحيط، هذا ما يجعل كل ما غريب مألوف وكل ما هو مجهول معلوم وينتج عنها ممارسات وقائية رمزية تزيد من عزلة ونفي المريض العقلي.

أما ***وليام. دواز*** **W . Doise** فيرى أن التمثلات الاجتماعية هي جملة من المبادئ تنشأ وتتشكل بهدف اتخاذ مواقف مرتبطة باندماجات خاصة في جملة العلاقات الاجتماعية للافراد.(6)

ولنوضح الفكرة أكثر بدراسة ***س. موسكوفسي*** للتمثل الاجتماعي للتحليل النفسي لدى المجتمع الفرنسي، لاحظ بعد تحليل إجابات المفحوصين أن الأفراد الذين لهم خلفية إيديولوجية ماركسية لهم تمثلات على التحليل النفسي على أنه شبه علم له أصل أمريكي يهدف إلى تكريس فكرة فردية الإنسان والمجتمع محاولا بذلك ابعاد المجتمع (الشعب) من كل صراع اجتماعي مركزا بذلك علي الانا الفرد وتمركزه حول ذاته ورغباته وهي نظرية لا تتطابق مع الفكر الشيوعي عند هذا النوع من(الأفراد المفحوصين).

اما ***روني كايس*** ***R. KAES*** فيري ان التمثلات هي نتاج نشاط البناء فكري للواقع يقوم به الجهاز النفسي من اول تجاربه الحسية ا الى المعلومات المعقدة التي يتلقها في محيطه مشكلة بدلك نقاط مرجعية لفهم الواقع والتعامل معه وكان كايس يعتبر ان تفكير الفرد ما هو الا منتوج تاريخه الشخصي والعائلي.(7)

هذا ما عرفه ***س_ موسكوفسي*** بأبعاد التمثلات ولخصها كايس على الشكل التالي:

- التمثل هو عملية بناء للواقع من جملة إدراكات الفرد .
- التمثل هو نتاج ثقافي مسجل في السياق التاريخي للأفراد ومرتبط بالمشروع السياسي الاجتماعي الدي يوجد فيه الفرد مشكلا بدلك ما يعرف بالاطار المرجعي.
- التمثلات توجد من خلال التفاعل الاجتماعي و تتطور من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية.

تركيبة التمثل

يري **موسكوفسي** ان تمثلات مركبة من ثلاث ابعاد اساسية وهي :

1. **المعلومات** :هي مجوعة المعارف المكتسبة حول موضوع معين والتي يكتسبها الفرد من تجاربه الشخصية ومن محيط الدي يتواجد فيه وهو مركب له بعد كمي وكيفي يختلف من فرد الى اخر ومن جماعة الى اخرى.
2. **الموقف:** هو الجانب المعياري للتمثل في شكل استجابة انفعالية وجدانية اتجاه موضوع معين بمعني ان الفرد لا يتعامل مع المواضيع بطريقة حيادية وانما له استجابة وجدانية اتجاه المواضيع
3. **حقل التمثل :** هو الواقع النفسي المعقد في شكل موحد ومنظم علي حسب المعاير الموجودة.(8)

آلية عمل التمثلات الاجتماعية:

للتمثلات الاجتماعية عند وظائف منها وظيفية لتحديد هوية الجماعة ومساهمتها في إدراكها لذاتها ووحدتها، وإدراكها للجماعات الأخرى التي هي في تفاعل مستمر معها. فالتمثلات في هده الحالة تعمل على حماية خصوصية الجماعة ووحدتها مقارنة بالجماعات الأخرى .

كما يعتبر ***موسكوفسي*** ان للتمثلات عدة وظائف اهمها انها تتيح للأفراد القدرة علي تنظيم و ترتيب الادراكات ليتمكنوا من توجيه تصرفاتهم داخل المحيط كما لها القدرة علي وضع الظوابط مع افراد الجماعة . بهدف التحكم بها- مشكلة بذلك نظاما للتوقعات والانتظارات مبرمجة مسبقا اشكال العلاقات بين الأفراد والجماعات.(9)

أما ***دنيس جودلي*** فترى ان التمثلات لها دور اساسي في الحفاظ علي المعطيات الموجودة في المحيط و بذلك تعتبر دراستها مؤشرا ذا دلالة في التعرف على هذا الواقع كما أن لها وظيفة تبريرية تسمح بتبرير المواقف والسلوكيات التي يقوم بها الأفراد والجماعات مما يجعل منها نقاط للارتكاز خلال المحاججة في المناقشات" تسمح التمثلات الاجتماعية بتبرير اتخاذ المواقف والسلوكيات".(10)

مميزات التمثلات الاجتماعية

لخصت الباحثة ***دنيس جودلي*** خمسة مميزات للتمثلات الاجتماعية هي دائما تمثل لموضوع معين بمعني لا يوجد تمثل بدون موضوع كان تجريديا او مشخصا وان هناك تفاعل بين الموضوع والفاعل حيث كل واحد يؤثر في الاخر. وان لكل تمثل معنى ولكل معنى تمثل اذ ان لكل بنية التمثل جانبين جانب تمثلي وجانب رمزي

كما تتميز بخاصية بنيوية نتيجة عملية التركيب والبناء الذهني مما يجعلها بناءا مستقلا.

كما لها ميزة الجانب الابداعي للأفراد و الجماعات وتأثير الجانب الثقافي في تكوينها الدي يحمل دلالات لغوية.

هدا مالخصه ***موسكوفسي في ان*** "كل تمثل اجتماعي هو تداخل بين واقعين النفسي, وارتباطاته مع لخيال والمشاعر والأحاسيس والوجدان واقع خارجي مكون من قواعد تضبط الفرد والجماعات"."

فكرة وجود قطبين في فهم آلية التمثل الاجتماعي بين ما هو داخلي وخارجي، تأخذنا إلى فكرة س، فرويد عندما يتكلم عن ثنائية القطبين في تفسير عمل الجهاز النفسي الألم واللذة .

نظرية النواة المركزية

إن نشأة وتشكل وانتظام التمثلاث الاجتماعية من أهم المحاور التي درستها نظرية النواة المركزية التي اهتمت بالتنظيم الداخلي للتمثلات الاجتماعية وهي مقاربة تعرف التمثلات الاجتماعية على أنها جملة من العناصر تخضع إلى تنظيم مشكلة بذلك بنية .ولتحليل التمثلات وفهم طريقة عملها تحتاج إلى تحليل مزدوج من ناحية المحتوى والبنية [11]

المحتوى يتضمن مجموعة من المعلومات، الآراء المعتقدات الاتجاهات، الصور...إلخ مشكلة بذلك عناصر التمثل وهي منظمة بطريقة خاصة.في شكل **نظام مركزي (النواة المركزية)ونظام محيطي (العناصر المحيطة).**

نطلق تسمية ***العناصر المركزية*** إلى كل عنصر يلعب دور مميز في بنية التمثل وارتباط العناصر الأخرى المحيطة بالنواة المركزية، هذه النواة لها مهمة مزدوجة في تنظيم دلالة التمثل وتحدد نوعية الارتباطات مع العناصر الأخرى وهي بذلك العنصر (النواة المركزية) الأكثر ثباتا ومقاومة للتغيرات وهي نقطة الارتكاز في تنظيم التمثلات لكي يختلف تمثلان اجتماعيان لابد لهماا أن يختلفا في نواتهما المركزية وإذا حدث تغيير في التمثل فلابد أن التحول يمس النواة المركزية.

إذ أن عنصر واحد مركزي يحدث اختلاف بين تمثلان اجتماعيان هذا ما جعل "ج ك أبريك" يعتبر أن العناصر المركزية لها مكانة بديهية وتساهم في إعطاء إطارا تفسيريا وتصنيفيا للمعلومات الجديدة.

هذه الفرضية قد ساهمت في تطويره فكرة فلامون ***Flamen*** إلى تحديد نوعين أساسيين من التمثلات، التمثلات المستقلة والتمثلات الغير المستقلة. [12]

التمثلات المستقلة

يقصد بها ان النواة المركزية توجد في الموضوع نفسه و مثال على ذلك دراسة سرج موسكوفسي حول التمثلات التحليل النفسي لدي المجتمع الفرنسي ودراسة جودلي حول المرض العقلي.

اما **التمثلات الغير المستقلة** فان النواة المركزية توجد خارج موضوع التمثل بمعني ان موضوع التمثل مرتبط بمواضيع اخري ولدراسة محتوي التمثل لابد من دراسة مجمل المواضيع المشتركة معه.

أما عن ***وظيفة العناصر المحيطة*** فهي تنظم وتدافع عن النواة المركزية من التغيرات المفاجئة التي تحدث في المحيط. "تشكل العناصر المحيطة حاجز بين النواة المركزية والوضعيات التي تتطور فيها وتنشط التمثلات الاجتماعية. [13]

كما تعمل العناصر المحيطة على إضافة معنى ومميزة المرونة تجعلها أكثرها تلائما وتكيفا مع الوضعيات الجديدة، فتكون بذلك قابلة للتغيير والتعديل لكي تحمي في نفس الوقت المعنى الأساسي للتمثل الاجتماعي.

كما أن النظام المركزي للتمثل يحدد مباشرة بالمجال الإيديولوجي والتاريخي للجماعة والأفراد متأثرا بالذاكرة الجماعية ونظام المعايير التي ينتمي لها محددة بذلك هوية الأفراد والجماعات.

فالاختلافات بين التمثلات يرجع حسب **Moliner مولييني** إلى تباينات الموجودة في الواقع الاجتماعي والثقافي ونوعية البيئة التنشئة الاجتماعية.. [14]

هذه الفرضيات تأخذنا إلى استنتاج عدم ثبات التمثل واعتباره نشاطات تحويلي للمعرفة، متأثر بأليتين التوضيع والترسيخ :

ألية ***التوضيع*** هي حسب موسكوفسي "تنظيم خاص للمعارف المتعلقة بالموضوع" اما الية ***الترسيخ*** فهو اندماج هذا التنظيم في حياة الفرد متحولا بذلك الي اطار مرجعي لتشكل وصياغة السلوكيات .كلها ممارسات يومية لها أثر ذكروي يستخدمها الأفراد في تفسير المعطيات الواقع وإعادة تنظيمية على حسب المكانة التي يشغلها كل فرد داخل النظام الاجتماعي. (15)

التقنيات المنهجية لدراسة التمثلات الاجتماعية:

من خلال تصريحات أفراد الجماعات تستطيع فهم الغاية الأساسية من هذه المقاربة التي طورت مجموعة من الأدوات المنهجية لتعليم بنية ومضمون التمثلات الاجتماعية لهذا سوف نذكرأهم الوسائل المنهجية وهي قسمين:

الأولى وتسمح بجمع محتويات التمثل (العناصر المرتبطة بالموضوع) وتعرفنا على بنية التمثل (معنى النظام المركزي والنظام المحيطي) وجمع مضمونها من خلال التداعي الحر والمقابلات الغير الموجهة والنصف الموجهة.

أما فيما يتعلق بالتداعي اللفظي يوجد منهجين منهج التصريح التراتبي ونموذج المخططات المعرفية (16) منهج التصريح التراتبي له عدة مزايا من ناحية المنهجية من ناحية انها غير مكلفة وتسمح للباحث بالتعرف على أجزاء مهمة من المجال التمثيلي للموضوع. وذلك بطرح السؤال على أفراد العينةعلى النحو التالي:

مثال:

إذا تكلمنا عن التحليل النفسي ما هي الكلمات الخمس التي تتبادر إلى ذهنك ثم نطلب من المشاركين بترتيب هذه الكلمات الخمسة على حسب الأهمية التي يولها لها المشاركين من خلال هذا التقاطع بين هذه المؤشرين الشيوع والأهمية يمكن صياغة المركزية.

أما القسم الثاني فيساهم في التعريف على بنية التمثلات (النواة المركزية والعناصر المحيطة) .

نموذج لدراسة التمثلات الاجتماعية:

المخططات المعرفية القاعدية (SCB) :

لمحاولة إيجاد مبررات للعلاقة بين عنصرين من عناصر التمثل الاجتماعي.

يقترح هذا النموذج أنه بين عنصر المعرفة A كلمة أو عبارة أو المفهومA وعنصر المعرفة B أو المفهوم B ويوجد علاقته R التي يمكن أن تأخذ عدة حالات أو كل حالة يمكنها أن تصاغ أو تصبح إجرائية بواسطة مفهوم الربط (Q).

هذه الروابط Connecteurs قابلة للتشكيل والتعميم ويمكن أن يتداخل مهما كان المضمون الدلالي للمفهوم ويمكن لكل ارتباط بين المفهوم A والمفهوم B ـم يخذ شكل الثلاثي ABC والذي يحدد مظهرا خاصا للمفهومA

مثال اجتماع أشخاص**cx** جماعة حيث الجماعة تمثل المفهومA اجتماع أشخاص تمثل المفهوم Cx B الرابط DEF والذي يعود إلى المفهوم التعريفي أو التماثلي A أنه يمكن أن يترجم هذا الثلاثي في اللغة العادية، الجماعة يمكن تعريفها بأنها اجتماع لأشخاص ومن هنا يوجد مظهرات مختلفان للمفهوم A اذ اختلف على الأقل أحد العنصرين الآخرين في الثلاثي.

مثال (وسيلة النقاشCx جماعة)

في هذه الحالة يشبه الرابط هنا رابط المثال 1 لكن المفهومB تغير "الجماعة يمكن تعريفها بأنها وسيلة للنقاش".

الروابط Connecteurs

اقترح نموذج (SCB) 28 رابطا وهو منظما ومجمعا ضمن خمسة عائلات تسمية بالحروف الأولى ومخصصات معرفية قاعدية.

SCB وتسمى هذه الخمس SCB كالآتي

-الحصيلة اللغوية (3 روابط) SCB Lexique

-التجاور (3روابط) SCB Voisinage

-التركيب (3 روابط SCB composition

-الفصل (7روابط) SCB praxie

-النعت(7روابط)SCB Attribution

هذه الأنماط الخمسة من المخططات التي تناسب مع الوظائف المعرفية الثلاثة الوظيفية، الوصفية، الفعلية".

التقنية مراجعة الأسباب: (mise au cause)

تركتز هذه التقنية في إعطاء البعد الرمزي للعناصر المركزية باعتبار هذه الأخيرة هي نقطة الارتكاز لبناء أي تمثل حول موضوع معين وهي تهدف إلى التعرف على المكانة البنيوية للعناصر (المركزية أو المحيطة).

هذا ما جعل **مولينى** يقترح استخدام مبدأ ازدواجية النفي وأن يكون للموضوع عدة مميزات أو خصائص لكي يعتبر موضوعا للتمثل.

اختبار الاستقلاليةعن المحيط (TIC):

هذه التقنية ترتكز على الخصوصية أي أنها لا تتأثر بتغيرات المحيط وإن العناصر المحيطة لها ميزة أنها تسمح لتمثل بالتكيف مع الوضعيات الجديدة دون التغير الجذري في التمثل الاجتماعي وذلك من خلال طرح جملة من الأسئلة نضع المفحوص أمام احتمالية ثبات التمثل في وضعيات مختلفة، كما تساعدنا هذه التقنية على التعرف، إذا كان هذا العنصر مرتبط أو لا بطريقة Trans- situationnelle لموضوع التمثل.

مثال: لاختبار مكانة البنيوية للعنصر "الصداقة" نطرح السؤال من تمثل الجماعة المثالية؟ نستعمل الصيغة التالية:

ّفي رأيك إن الجماعة المثالية هي دائما مجموعة من الأشخاص التي تربطهم علاقات الصداقة؟

إذا أجابت أغلبية أفراد العينة بإيجابية يمكن أن يعتبر أن عنصر الصداقة غير قابلة للتأثير بتغيرات التي تحدث في المحيط هذا ما جعل **موسكوفسي** يعرف التمثلات الاجتماعية ومشتركة بين أفراد الجماعات ولها هدف تطبيقي في شكل واقعا مسرعا بين أفراد المجتمع".

نلاحظ مما سبق ان نظرية النواة المركزية تمتلك تقنيات منهجية تجريبية خاصة بها تسمح بدراسة التمثلات الاجتماعية من الناحية البنيوية مقدمة بدلك دفعة للبحث في حقل التمثلات الاجتماعية.

هوامش والمراجع

1. استاذة مساعدة(أ) بقسم علم النفس بجامعة عبدالحميد ابن باديس مستغانم_
2. Durkeim .E. Representation Individuelles Et Representation Collectives ;Revue --Mata Physique Et Du Moral 1998tom4 Edition Sociologie Et Philosophie Paris Puf 1967
3. Moscovici ,S.(1976).La Psychanalyse ,Son Image Et Son Public .Paris :Presse Universitaire De France .
4. Abric ,J-C.(2003).La Recherche Du Noyau Central Et De La Zone Muette Des Représentations Sociales .Pp59-80
5. Jodelet (D) 1989,Representation Sociales :Un Domaine En Expansion ;In Jodelet (Ed) Les Représentations Sociales Paris Puf P36
6. Doise .W.(1990) . Les Représentations Sociales. In J .F.Richard ,R.Ghiglione Et C .Bonnet (Eds) ;Traite De Psychologie Cognitives Vol .3(Pp .113-174) .Paris :Dunod .
7. Kaes ,R :Image De La Culture Chez Les Ouvriers Tome4 Traite Des Sciences Pédagogique Paris 1968
8. (Moscovici ,S.(1976).La Psychanalyse, Son Image Et Son Public .Paris :Presse Universitaire De France .
9. Abric,J-C .(1994) Pratique Sociales Et Représentations .Paris : Presse Universitaires De France P17
10. Jodelet (D) :Les Représentations Sociales Phénomènes ,Concept Et Théorie In Psychologie Sociales : Ed :Puf, Fondamental P 364,365
11. Abric, J-C . (1987) Coopérations, Compétitions Et Représentations Sociales. Cousset Fribourg :Delval P19
12. Moliner,P.(1989). Validation Expérimentale De L'hypothèse Du Noyau Central Des Représentations Sociales Bulletin De Psychologie, 41 ;759-762
13. Abric,J ;C(1994).Pratique Sociales Et Représentations. Paris. Puf -P25
14. Moscovici ;Psychologie Social ; Ed Puf Fondamental Pp371

15. Rouquette ; M-L ;Et Rateau,(1998) Introduction A L'étude Des Représentations Sociales .Grenobl :Presses Universitaire De Grenoble
16. Guimeli,C.(1999) La Pensée Sociale. Paris , Presses Universitaires De France.
17. Guimeli,C.(2003).Le Model Des Schèmes Cognitifs De Base(Scb).Méthode Et Applications .In J.-C.Abric (Ed) Méthodes D'étude Des Représentations Sociales (Pp119-146) Ramonville Saint-Agne :Eres